التحولات الخُلُقية في العصر العباسي ما بين الزهد والمجون

ابو نؤاس وابو العتاهية انموذجاً

م.م مصطفى فخرالدين أنور

جامعة كركوك_ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

تهدف هذه الدارسة إلى الكشف عن طبيعة شعر الزهد والمجون في الشعر العباسي مع بيان الجوانب السلبية والايجابية لكل غرض، والكشف عن التحولات التي طرأت بين هذين الغرضين المتناقضَين عند ابي العتاهية وابي نؤاس، فإن التحول الاجتماعي الذي شهده ذلك العصر كان له دور كبير في التنقل ولاسيما بعد امتزاج العرب بالأمم الاخرى وكان لهذا اثره في الشعر العباسي، إذ ورث المجتمع العباسي كل ما كان في المجتمع الفارسي من أدوات اللهو وساعد على ذلك ما دفعت اليه الثورة العباسية من حرية مسرفة، فمضوا يعبون الخمر ويحتسون كؤوسها حتى الثمالة واصبح الإدمان ظاهرة ، لكنها شملت طبقة محدودة من الناس و لاسيما المترفين ومن حولهم من الشعراء، اما عامة الشعب فلم يعرفوا الترف ولا ما يجر اليه من الانحلال والفساد، فقد كان المجتمع إسلامياً متمسكاً بفرائضه وسننه وشعائره، فظهرت فيه فنون تشجع مطالب الحياة وترقي أذواق الناس كشعر الخمريات الذي يروق لطبقة المترفين العابثين وكشعر الزهد الذي يرضي المتدينين، فكان المجتمع العباسي يفيض بهذه الثنائيات .

وقد جاءت دراستنا منقسمة الى توطئة ومحوراً واحداً، إذ تناولنا في التوطئة مفهوم التحول بشكل مبسط ، واشتمل المحور توضيحاً عن الانتقال من المجون الى الزهد عند الشاعرَين ابي نؤاس و ابي العتاهية الذين كانا في بداياتهم ماجنين ثم اتاب الله عليهم فيما بعد وانتقلوا الى الزهد والتدين مستخدمين الفاظ العفة والخشوع.

الكلمات المفتاحية: الزهد_ المجون_ ابو نؤاس _ ابو العتاهية

اولاً: أهمية البحث

كان الشعر العباسي مرآة الواقع وتصوير للحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية، إذ ارتبط الشعر بالحياة العامة وما تشتمل عليه من سهولة أو تعقيد، وقد تداخل شعر الزهد بشعر المجون عند ابي العتاهية وابي نؤاس وكانا يعكسان حياة الشاعر والعوامل والأسباب النفسية والاجتماعية التي شكلتها الطبيعة والتي انعكست على أعمالهم الشعرية، وتكمن أهمية هذه الدراسة تكمن في معرفة ابرز الاساليب المتبعة من قبل أهم شعراء العصر العباسي في تدوين اشعار الزهد والمجون، فمثلاً ابي العتاهية تتبع اساليب التعجب والتكرار والنداء ، اما ابي نؤاس فيميل الى الجناس والتكرار والسجع ، وتكمن ايضاً من كونها تجمع بين الشعر المنظوم في هذين الغرضين عند شاعرَين نابغَين، فالمجون والزهد من الاغراض الشعرية المتضادة ومع ذلك نجدهما بارزتين عند ابي نؤاس وابي العتاهية، وتكمن اهمية الدراسة ايضاً في إعطاء الشعر العباسي لون مختلف عن سابقه، فتارةً نرى السلاسة والهزل وتارةً نرى الرزانة والوقار.

ثانياً: اهداف البحث

يسعى البحث الى بيان النقاط الاتية:

_ تفصيل مصطلح الزهد والمجون، فإن الزهد تعني الحرص والابتعاد عن ملذات الدنيا والمجون تعني الانحراف والعبث

_ بيان العوامل الأساسية التي ساعدت على ظهور الغرضين عند هذين الشاعرَين، إذ تأثر كلاهما بالمفاهيم والمعتقدات الفارسية كاللهو والترف، فظهر المجون عند ابو نؤاس بسبب بيئته واسرته، إذ كانت امه منحرفة فحاول الانزياح عن الواقع واللجوء الى النسيان عن طريق السُكر، اما ابي العتاهية فكان اختلاطه بالفاسقين سبباً في مجونه بالإضافة الى جشعه وطمعه في الملذات.

_ الجمع بين معنيين متضادَين كالزهد والمجون في الشعر وتقديم صورة واضحة حول تقلبات النفس البشرية وتأثير الحياة الاجتماعية السائدة على الشعر والشعراء، فماجن اليوم تراه في الغد ناسكاً زاهداً، لأقرانه واعظاً، وزاهد اليوم قد يتحول إلى سيد جلسات المجون ورائد شعره.

منهج البحث

اعتمدتُ في دراسة هذا الموضوع على المنهج التكاملي واتبعت من خلاله اختيار النصوص وشرحه والتعليق عليه، وطرحت كافة المواضيع المتعلقة بالزهد والمجون بشكلٍ موجز عند الشاعرين وتناولتها بطريقة تطبيقية.

التوطئة

مفهوم التحول

يعتبر العصر العباسي عصر التحول في حياة العرب والمسلمين بسبب التغيرات التي حدثت في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فضلاً عن ذلك يعتبر عصر الانفتاح والتعارف بين الشعوب، ولم يكن الشعر بعيداً عن هذا التحول والانفتاح وقد سلك الشعراء العباسيون في البداية " مسالك القدماء في موضوعاتهم وأضافوا موضوعاتٍ جديدة تتناسب مع النزعة العقلية وطبيعة الحياة التي عاشها العباسيون، كما أنهم أضافوا لمساتهم على الموضوعات القديمة، وقد ثار بعض الشعراء على التقاليد الفنية للقصيدة الجاهلية التي تبدأ بالوقوف على الأطلال ثم وصف الرحلة لغاية الوصول الى الممدوح، وقد خرج بعض الشعراء في العصر العباسي عن هذا التقليد، وهاجم بعضهم التقاليد الفنية للقصيدة الجاهلية " [1].

وكانت رقعة الدولة الإسلامية قد اتّسعت خلال الحقبة الأموية وبدايات الحقبة العباسية، ونتج عن ذلك "ظهور أجيال من الشعراء المولدين وذوي الأصول غير العربية من الفُرس والتُرك، ونتيجة لذلك نشأ مجتمع جديد له سماته الخاصة، ونزع بعض الشعراء للخروج على التقاليد العربية القديمة في الأدب والخطابة والشعر وبدأوا يشقون طريقهم متخذين أسالیباً جديدة في الأدب شعراً ونثراً، بينما ظل البعض الآخر متمسكاً بالتقاليد الأصيلة في الشعر والنثر، فبدت أشعار هذا العصر كحلقة وصل بين الماضي المتمثل بالتقاليد الفنية الأصيلة، والحديث المصطبغ بصبغة المجتمع الجديد، فيما احتفى أمراء وخلفاء الدولة العباسية بالشعراء وأغدقوا عليهم الأموال مما ساعد على تطور الشعر العربي في العصر العباسي تطوراً واضحاً، وتحول الشعر إلى علم له

قواعد قابلة للدراسة حيث أسس الخليل بن أحمد الفراهيدي علم العروض الذي يختصّ بالأوزان الشعريّة والتي قسمها الخليل بن أحمد لفراهيدي إلى خمسة عشر بحراً شعرياً" [2] .

ويُعد الادب إنعكاساً للحياة وهو جزء منها، إذ يصور وقائع حدثت ومازالت تحدث مع إبراز صفة الشخصية والتعليق عليها بكل ابعادها المادية والنفسية من خلال اساليب متعددة تكسب شخصية الشاعر الشكل والدلالة التي تساعد القارئ على فهمه والتعاطف معه[3]، فضلاً عن امتلاكه لـ" قوة سحرية وتأثير بالغ في الذات الإنسانية بفضل ما تمتلكه من محاسن الصياغة والتركيب واختيار الالفاظ الموحية وماتحمله من من افكار وتجارب وكشفٍ للاعماق وسبرٍ للاغوار والايقاع المتناسق والمنسجم مع طبيعة الانسان" [4].

المبحث الاول

من ابرز الشعراء الذين انتقلوا في سلوكيات اشعارهم من المجون الى الزهد ما يلي:

اولاً_ ابو نؤاس: وهو " أَبُو عَلي اَلْحَسَن بن هانئ بن عَبْدِ اَلْأَوَّلْ بن اَلصَّبَاحِ اَلْحُكْمِيّ اَلْمِذْحَجِي المعروف بِأَبِي نُؤَاسْ، ولد في الاهواز سنة 145 للهجرة " [5]، يعتبر من أشهر شعراء عصر الدولة العباسية ومن كبار شعراء شعر الثورة التجديدية ، نشأ في البصرة ثم انتقل إلى بغداد واتّصل بالبرامكة وآل الربيع ومدحهم واتصل بالرشيد والأمين، وقد توفي في بغداد سنة 199 للهجرة[6]، وما كاد أبو نؤاس يبلغ الثلاثين حتى ملك " ناصية اللغة والأدب وأطل على العلوم الإسلامية المختلفة من فقه وحديث ومعرفة بأحكام القرآن، وبصر بناسخه ومنسوخه ومحكمه، وما أن تم لابن هاني هذا القدر من المعرفة حتى طمح ببصره إلى بغداد عاصمة الخلافة، ومحط آمال الشعراء، ولم يقتصر طلبه العلم على الشعراء والأدب بل كان يدرس الفقه والحديث والتفسير" [7]، حتى قال فيه ابن المعتز في كتابه طبقات الشعراء: " كان أبو نواسٍ عالماً فقيهاً عارفاً بالأحكام والفتيا، بصيراً بالاختلاف، صاحب حفظٍ ونظرٍ ومعرفةٍ بطرق الحديث، يعرف محكم القرآن ومتشابهة"[8] والمقصود بالفتيا أنه كان فطِناً بالفتاوي، ويعتبر شعر أبي نؤاس " صورة لنفسه ولبيئته في ناحيتها المتحرّرة فكان أبو نواس شاعر الثورة والتجديد، والتصوير الفنّي الرائع، وشاعر خمرة غير منازع، و ثار على التقاليد، ورأى في الخمرة شخصًا

حيّاً يُعشق، والهةً تُعبد وتُكرم، فانقطع وجعل حياته خمرةً وسَكْرة في موكب من الندمان والألحان، وكان شاعر ذو الملاحظة الدقيقة والإحساس العنيف ويعد شاعر الهجران الذي يكثر من الشكوى، إذ كان أبو نؤاس زعيم الشعر الخمري عند العرب، ولكنه تاب عما كان فيه واتجه إلى الزهد" [9] .

_المجون عند ابي نؤاس

باتت معاقرة الخمر من أبرز مظاهر الحياة المترفة اللاهية في عصر أبي نؤاس، "إذ انتشرت الحانات وكانت وكراً لأهل البطالة، يقيمون فيها اليوم واليومين والثلاثة، كما يقيمون فيها الشهر بكامله وليس يهمهم سوى الشرب واللهو، وكان أبو نؤاس من أكثر المترددين على الحانات ودور اللهو والمجون، فيندفع إلى التغني بالخمر ووصف السكر، بالإضافة إلى ذلك كان يجهر مع غيره من شعراء المجون بحب الفتية الغلمان والتغزل بهم غزلا مكشوفاً" [10]

وبالإضافة إلى مظاهر الترف التي شاعت في العصر العباسي وانتشارها بين بعض طبقات المجتمع ، كانت هناك أسباب أعمق أثرت على شخصية الشاعر وجعلت منه شخصاً ماجناً ، نذكر منها ما قال عنه الادباء في ما يلي :

يذهب شوقي ضيف إلى أن " أصول أبي نؤاس الفارسية التي أورثته عدة صفات أبرزها مزاجه السيء وحضارة عصره المادية وما يعتريها من لهو وفجور، وما كان يعانيه من أزمة نفسية جراء سيرة أمه المنحرفة، كانت أسباباً لاتخاذه المجون أداة بل ملجأ للهروب من أزمته ومن هموم الحياة وأحزانها " [11] .

وكذلك يتفق إيليا حاوي مع شوقي ضيف في عامل انحراف الأم ، ويضيف سببين آخرين : أحدهما " غياب الوالد الذي يقرر مصير الولد، ويعده أو يتعهده منذ الصغر، والآخر حبه للجارية جنان التي رأى أنها تمثل عقدة مزدوجة في نفسه، فمن جهة تعذبه بصدودها وربما احتقارها، ومن جهة أخرى كانت تضطره إلى أن يشعر بما يشعر به الآخرون من الناس العاديين الذين كان لا ينفك ليهزأ بمصيرهم واعتقاداتهم" [12].

وينفي الكاتب الكبير عباس محمود العقاد تهمة المثلية الجنسية حيث يرى أن الشاعر كان ذو "شخصية نموذجية ثائرة على المعتقدات والمجتمع تسعى لما كان في عصرها من فاكهة محرمة " [13]، ومن ثم فهو لم يكن يعاني من الشذوذ الجنسي ، فذلك الشذوذ بالنسبة للعقاد لا يقدم مبرراً لمجمل سلوكياته ؛ وإنما ما عانى منه أبو نؤاس هو انحراف أكثر عمومية ألا وهو النرجسية، فقد يرى اغلب النقاد والمؤلفين أن مجون أبي نؤاس كان في أغلبه على سبيل التظرف والهزل ، والانغماس في الملذات ومعاقرة الخمر.

والمجون عند ابي نؤاس تكون على عدة الوان منها :

أولاً_ التلبيس والتشخيص: وتعتبر من اللوازم على أبي نؤاس في خلائقه الأولية وخلائقه التبعية، وتفسر جميع أحواله حيث لا يفسرها ضرب آخر من ضروب الشذوذ في المسائل الجنسية ، فالشذوذ الذي يميل بصاحبه إلى عشق أبناء جنسه، والعزوف عن الجنس الآخر آفة لا تنطبق على أبي نؤاس؛ لأنه يغازل الجواري كما يغازل الغلمان، وكلامه كثير في استحسان الفتاة لأنها كالغلام واستحسان الغلام لأنه كالفتاة، إذ يقول: [14]

غـــلامٌ وإلا فالـغـــــلامُ شـــبيـهُهَا وريحـانُ دنيا لـذة للـمعانِقِ

كما قال: [15]

من كفِّ ذي غنـجٍ حلوٍ شـــمائلهُ كـأنه عند رأي الـعين عـذراء

يذكر مثال الحسن في الجنسين : [16]

ولو أنها في الحسن كانت كيوسف وبلقيس أو كانت كخط مثال

وقالت: تزوجني على مهر درهم لقلت: اغربي عني فمهرك غـال

ومما أشار إليه في مجونه أنه كان يخاطب معشوقيه من الغلمان فيقول لهم: إنه كان معشوقًا مثلهم، ويحكي لهم كيف يتشبهون به مع عاشقيه، وفي نسيبه بالنساء تدليل لنفسه يومئ إلى أنوثة كامنة في طبعه.

ثانياً_ العرض والاظهار: وتشمل الإظهار بجميع درجاته، فإذا أمعن في الجسدية والشواغل الحسية، مثل قوله : [17]

وإن قالوا: حَرام، قُلّ: حَرام ولكن اللذاذة في الحرامِ

وتكبر المتعة في حسه وفي وصفه بمقدار المخالفة لا بمقدار المتعة والتذاذها، فلا يتساوى شراء الخمر والفسوق بمال حلال وشراؤهما بمال حرام، كما في قوله: [18]

واركب الآثامَ حتى يبعثَ الله الاناما

فَلَكم نلنا بدينا ر قمرناه غلاما

وشَربنا يومنا ذا ك بباقيهِ مداما

لا نصرف في حرام أبدًا إلا حراما

ثالثاً_ الافتنان بالذات (النرجسية)

نحو قوله: [19]

لها تاج مرجانٍ وإكليل لؤلؤ ترنم كالنشوان بين العواشقِ

يدور بها ظبيٌ غريرٌ متوجٌ بتا من الريحان ملك القراطقِ

إن الخمر عنده أداة حب للتدليل الذي يكمن في أعماقه النرجسية، فإن حب أبي نؤاس لها حب للتدليل الذي لا تستغني عنه طبيعة الافتتان بالذات، ومنها الترنم بالتاج والملك والامتياز بمقام للشرب لا يكافئه كل مقام، وما يدور من الشعور العميقة في نفس هذا الشاعر النرجسي.

_الزهد عند ابي نؤاس

إن حياة اللهو والمجون مهما طالت، وكثرة ملذاتها فإنها تجعل روح الإنسان خاوية كالبيت الخرب ، وتظل في حاجة ماسة إلى غذاء الروح ولو مؤقتاً لتجعلها قادرة على الاستمرار في الحياة، والصبر على ما فيها من جفاف، وأبو نؤاس سجله حافل باللهو والمجون ينطبق عليه ما

ينطبق على البشر، إذ يتقلب بين القوة النفسية والضعف من خلال المشاعر التي تتدفق في ينابيع شعره معبرة عن تلك الحاجة وعلى الرغم من كثرة الانحرافات في شعره، إلا أن هناك جزءً من شعره يخلوا من تصوير الجانبّ الخير في مجتمعه، كما كانت تظهر في شعره نزعات ماجنة ففي المقابل نزعات إيمانية يظهر فيها نادماً تائباً يسأل الله عز وجل العفو والمغفرة، ونزعات الإيمان والتوبة والندم على ما فات خوفاً من المصير المحتوم للبشر[20] ، فإن المتأمل الدقيق لشعر أبي نؤاس يدرك روعة النفحات الشعرية التي جادت بها قريحته في جانب الندم والضعف حتى لحق به الكبر، واقترب من النهاية، لذا تراه يعطيك نفحات شعرية تهز الوجدان وتلهب الخاطر " فأنتج لنا في أيام زهده أجمل العبر التي يمكن للمرء أن يستمدها من هذه الحياة الدنيا ذلك لأنها صدى صادق لتجارب خاضها الشاعر، وردود فعل لعبث عاشه في مجالس اللهو والقصف، لا كما يصف الزهاد الذين عاشوا على هامش الحياة ، ولم يعرف آفاتها ولم يجربوا شرورها ويفرقوا في لهوها ومفاسدها " [21] ، والزهد عند ابو نؤاس يكمن في عدة أشكال منها:

أولاً_ الدعاء والمناجاة: بعد أن شاهد أفواج الراحلين إلى عالم الآخرة من أقاربه وأصدقائه وأحبابه وربما كان ارتحالهم متوالياً، فما يكاد يودع حبيباً أو صديقاً إلا ولحقه آخر، فرأى الأيام تتسلل من بين يديه، فتساءل بينه وبين نفسه ماذا أعد لهذا المصير مع كثرة الذنوب والمعاصي ، فتاب الى الله الغفور والرحيم وقال : [22]

يا رَبِّ إن عَظُمَت ذُنوبي كَثرَةً فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ

إن كانَ لا يَرجوكَ إِلّا مُحسِنٌ فَبِمَن يَلوذُ وَيَستَجيرُ الــمُجرِمُ

أَدعوكَ رَبِّ كَما أَمَرتَ تَضَرُّعاً فَإِذا رَدَدتَ يَــدي فَمَن ذا يَرحَمُ

ما لي إِلَيكَ وَسيلَةٌ إِلا الرَجا وَجَميلُ عَفوِكَ ثُمَّ أَنّي مُسلِمُ

يلجأ الشاعر إلى الله تعالى لجوء الخائف المستنجد الذي وجد نفسه مُحملة بالذنوب والآثام، ولمُتقدمً شيئا لآخرتها، فأراد أن يتقرب إلى الله بتوبته وإسلامه لعله يرحمه ويعفو عنه، وهي لحظات صدق مع النفس لا يعرفها الإنسان إلا إذا عاش لحظات انقطاع عن الدنيا وملذاتها

وتوجه وعاش الآخرة وما فيها من نعيم وعذاب، لذا أقر الشاعر بذنوبه معترفاً بها ولا يملك غير طلب العفو .

كما قال: [23]

أيا مَنْ ليسَ لي مِنهُ مُجيرُ بِعَفوِكَ مِن عَذابِكَ أستَجيرُ

أَنا العَبدُ المُقِرُّ بِكُلِّ ذَنبٍ وأنتَ السَيِّدُ المَولى الغَفور

ينفجِرُ الشاعر بالصياح والبكاء ويعترف بذنوبه، فهو يحاول الهروب من سوء الفعل إلى الله عز وجل، وكيف لا؟ وهو الملجأ والمنجى لكل عبد تائب ونادم.

ثانياً_ التفكر والتدبر: ويعتبران قيمتان عقليتان تدلان على المنطق السليم، فالمتأمل المتدبر يتمتع بقدرة الاستفادة مما يحدث حول الإنسان، وشاعر كأبي نؤاس لا تفوته هذه القيمة في شعره، إذ يتخذ منها وسيلة لإيقاظ نفسه من غفلتها وتنبيهها من سكرتها، فالتفكر والتدبر قيمة وعبادة تتعلق بالقلب وتستخدم العقل ، فيقول: [24]

سُبحانَ مَن خَلَقَ الخَل قَ مِن ضَعيفٍ مَهينِ

يَسوقُهُ مِن قَرارٍ إِلى قَرارٍ مَكينِ

في الحُجبِ شَيئاً فَشَيئاً يَحورُ دونَ العُيونِ

حَتّى بَدَت حَرَكاتٌ مَخلوقَةٌ مِن سُكونِ

ودلالات التأمل والتدبر يتبدى أثره في شعر أبي نؤاس حيث قضى جل حياته في معاقرة الخمر والنساء والغلمان، وما إن يستفيق ويرجع إلى عقله وقلبه يتأمل ويتفكر ويبدع في صياغة تلك التأملات، فهو شاعر مبدع مرهف الحس يرسم الصورة بإبداع وإتقان تأسر القلوب وتزيدها إيماناً، فيصور قدرة الله الخالق البارئ سبحانه وتعالى في خلق الإنسان في رحم أمه، مقتبساً المشهد من قوله تعالى (ولَقد خَلقنا الإنسانَ مِن سلالةٍ مِن طين) .

كما قال: [25]

كُلُّ مَذخـــورٍ سَيفنى كُلُّ مَـذكورٍ سَيُنسى

لَيـــسَ غَيرَ اللهَ يبقى مَن عَلا فاللهُ اعــلى

لا تَرى شَيئاً عَلى اللهِ مِنَ الأَشـــياءِ يَخفى

نجد الشاعر يتألق في عطائه الفني حين يتأمل ويتدبر أحوال السابقين، فكل ناعٍ يوصل صاحبه إلى قبره ينعاه غيره غدا، ويحمله إلى مستقره الأخير، ومن بكى غيره اليوم يبكونه غداً، وكل منّا صائر إلى ما قدره الله عز وجل، هو المطلع على كل شيء.

ثالثاً_ الموت والآخرة: هرب أبو نؤاس في حياته إلى نقيضها الدنيا وملذاتها وشهواتها متغافلاً عن هذا المصير المحتوم، ففي نوبة صحو، ولحظة ندم يتذكر ما له وما أعده لهذا المصير، فتتنازعه المشاعر النادمة الحزينة و" يخاطب عقل الإنسان ويحاول أن يثير هذا العقل ويدفعه إلى التفكير فهو لا يريد منه أن يؤمن إيمان خوف ووجل، بل يريد أن يؤمن إيمان المتبصر الواثق مما يعمل، مخاطباً العاطفة وإثارتها ليدفع الإنسان الى التوبة" [26].

وسيطرت فكرة الموت أبي نؤاس مؤخراً لذا نجد معاني كثيرة في شعره يتقاطر منها الصراخ والعويل والخوف من المصير ووجع المآل، فتتكرر لديه لفظة الموت في شعره تأكيداً على معاني يريد أن يبثها في شعره حيث يتخذ من الموت قارعاً ومنبهاً [27]، كما في قوله: [28]

المَـــوتُ مِنّا قَريـــبٌ وَلَيـــسَ عَنّا بِنـــــازِحْ

فـــي كُلِّ يَـــومٍ نَعيٌ تَصـيحُ مِـنـهُ الـصـائحْ

تَشـجى القُلوبُ وَتَـبكي مُـــوَلوِلاتُ النَـــــــوائِحْ

حَتّى مَـتـى أَنتَ تَلـهو فـــي غَفلَةٍ وَتُمـــــازِحْ

وَالمَوتُ فـــي كُلِّ يَـومٍ فـي زِنـدِ عَيشِكَ قـــادِحْ

فَاِعـمَل لِيَومٍ عَبـــوسٍ مـن شِدَّةِ الهَولِ كالِـــحْ

وَلا يَغُرَّنــكَ دُنـــــيــا نَعـيمُها عَــنــكَ نـــازِحْ

وَبُغضُــها لَكَ زَيـــــنٌ وَحُبُّـــها لَكَ فاضِـــــحْ

حيث تسيطر على أبي نؤاس فكرة التأمل في قصة الموت، وكيف أنه قريب منّا، زهو قدر كلّ حي فلا غرابة أن ينعى الناعي كل دقيقة، بل كل ثانية، بل كل لحظة، والقلوب لا تملك إلا أن تنوح.

وقال ايضاً: (29)

إنَّ للـــــمَوتِ أَخذَهُ تَسبِقُ اللَمــحَ بالبَصَرْ

فَكأنّـــــي بِـكُم غَداً في ثِيـــابٍ مِنَ المَدَرْ

قَد نُقِلتُم مِنَ القُصورِ الـــــى ظُلمَةِ الحُفَرْ

رَحِمَ اللهُ مُســـــلِماً ذَكَــرَ الله فإزدَجــرْ

يؤكد الشاعر في دلالاته الشعرية على أن الموت لا يستأذن أحداً، بل إنه زائر يخطف الأرواح بلمح البصر، فلا ينتظرك لتستعد له، بل إنه قدر محتوم، ويصف من رحل وترك خلفه القصورالمشيدة إلى قبور صغيرة يعلوها التراب.

رابعاً_ الندم على المعصية: إن الندم مفردة تليق بأبي نؤاس لان فسوقه ومجونه وغزله الفاحش يدل على ذلك، ولكن هناك لحظات صدق إنسانية تمل فيها النفس من المعاصي وتعود إلى الله عز وجل تائبة ومستغفره، لذا وجدنا صدى لحظات الصدق الإنساني حينما يتوجه إلى الله معترفاً بذنبه طالباً العفو والمغفرة متحسراً على تلك الليالي التي قضاها في المعصية، فيقول: (30)

مـا حُجَّتي فيـمـا أَتَيتُ وَمـا قَولـي لِرَبّي بَل وَمـــــا عُذري

أَن لا أَكونَ قَـصَدتُ رُشدي أَو أَقبَلتُ مـا اِستَدبَرتُ مِـــن أَمري

يــا سَوأَتا مِمّا اِكتَسَبتُ وَيــا أَسَفي عَلى ما فاتَ مِـــن عُمري

إن كلمة يا سوأتا تكشف عن الألم والتحسر اللذين يسيطران على الشاعر حيث ان عمره أوشك على الانتهاء، ويجعلنا ان " نشعر في هذا القول الرقيق الصادق من أعماق القلب بالندامة الصادقة، والإيمان الكلي بالله عز وجل، ألا يصدر من هذه الكلمات امر التأوهات و الزفرات التي تحرق الافئدة وتذيب القلوب" [31].

كما قال: [32]

إذا لَم تَنهَ نَفسَكَ عَن هَواها فإنِيّ قَد وَتُحسِنُ صَوتَها فَإلَيكَ عَنّي

شَبِعتُ مِـــــــنَ المَعـــاصي ومِـــن لَذاتِها وَشَبِعنَ مِني

من خلال هذه الابيات نتأكد من سيطرة حس الندم على المعصية لدى الشاعر، وذلك من خلال حديثه لنفسه مخاطبا علام الغيوب، فنراه يتوجه بالاستغفار من الذنوب قبل فوات الاوان ، ويبادر بالتوبة والندم على ما فعله.

خامساً_ الاتعاظ بالزمن وذم الدنيا: إن التقدم بالعمر والنظر للحياة وهي تذبل وتزدري أمام اعينه، ورؤيته لأصحابه الذين يواكبون الرحيل، فمن المتأمل ان نجد في شعره ذم الدنيا والاتعاظ من دوران الحياة ، ويظهر ذلك جلياً في اشعاره كما في قوله: [33]

وَعَظَتكَ واعِظَـةُ القَتـير وَنَـــــــهَتكَ أُبَّهَـةُ الكَـــبيرِ

وَرَدَدتَ مـا كُـنتَ اِسـتَعَر تَ مِنَ الشَبابِ إِلـــــــى المَعيرِ

فَالآنَ صِـرتُ إِلـى النُـهى وَبَلَوتُ عــاقِبَةَ السُـــــــــرورِ

نراه في هذه الابيات في لفتة فنية بديعة يعاتب فيها نفسه المسرفة بعد أن فنى حياته ولم يكتسب غير الآثام والذنوب، ولم يمنع نفسه عن اقترافها وهو يعلم بأن حسابها يوم القيامة شديد، و لكن هذه هي النفس البشرية التي لا تأبه إلا بالوقوع في المآثم وهى تعلم أن سبيلها محتوم .

وقال ايضاً: [34]

سَهَـــوتُ وَغَرَّني أَمَلي وَقَد قَصَّرتُ فـــي عَملي

وَمَنزِلةٍ خُــلِقـــتُ لها جَعَـــــلتُ لِغيرِها شُغُلي

يَظَلُّ الدَهرُ يَـــــطلُبُني ويَمضي بـــي عَلى عَجَلِ

يؤكد ابي نؤاس على حقيقة مهمة في أبياته وهي أن اليوم والغد سينقضيان لا محالة بعد السهو والتقصير في العمل والانشغال بالدنيا، كما يؤكد على انقضاء أيامه وسرعان مضيها، وكل ذلك يدنيه من أجله ويقربه من لقاء الله عز وجل لذا وجب على الإنسان أن يغتنم الطاعة، فطاعة الله خير للانسان من قضاء شهوته.

ثانياً_ ابي العتاهية: وهو " ابو اسحاق إسماعيل بن القاسم بن سُويد العنزي " [35]، ولد الشاعر في "عين التمر سنة 130هـ ثم انتقل إلى الكوفة وكان بائعاً للجرار مال إلى العلم والأدب ونظم الشعر حتى نبغ فيه، ثم انتقل إلى بغداد واتصل بالخلفاء، فمدحهم واجاد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره" [36].

رُمي أبو العتاهية كغيره من الشعراء والأدباء بتهمة الزندقة والمانوية مع ما بينهم من التفاوت في ثبوتها واعترافهم بها، واذا أردنا ان نبحث حول سيرته سنلاحظ أنّه كان يُعاني بعدم التوازن والاستقرار في افكاره وعقائده وكان سريع التأثر مما يسمع ويري وسريع التحوّل عما يتأثر به ولم يكن عليه موقف فكري واعتقادي واحد ووجود هذا التناقض في حياته وسلوكه قد دفع بعض دارسيه الي الشك في صحّة زهده ونقاء عقيدته ، فان ابا الفرج الاصفهاني يصفه في الاغاني بانه "مضطرب المذهب ويعتقد بشيء ما فاذا سمع طاعناً في ذلك ترك اعتقاده وأخذ غيره ، واكمل قوبه بأن أبو العتاهية يختلف كثيراً عن غيره فقد سخر شعره لرد تلك التهم ونفيها عن نفسه، وهذه التهم وإن كانت قليلة في المصادر المتقدمة كما في الأغاني للأصفهاني وطبقات الشعراء لابن المعتز إلا أن بعض كتاب التاريخ في العصر الحديث أشاعوا تلك التهم وحاولوا اثباتها وصرفها عن سياقها وواقعها التاريخي دون أن يوردوا نفيه لها من خلال شعره، وأنها في الحقيقة كانت تُعبر عن فترة متقدمة يسيرة من حياته قبل أن يتحول عنها " [37]، ومن جهة اخرى قد وصفه ابن المعتز بانه كان" خبيث الدين وفاسد العقيدة، متهم بالجبرية ويعتقد بالثنوية ويفكّر بالبعث، ويؤمن بخلق القرآن، وهو ناسك الظاهر " [38] .

إنَّ شعر أبي العتاهية الذي أخذ يجادل بين الحُبِّ والتزهد في الحياة، لا يزال بحثاً مجدّاً في الأدب العربي حتي يومنا هذا، لأنه خذ يعبر عن أفكار وعقائد هذا الشاعر طوال حياته فنري خلال أبياته الشعرية ونظرياته تزاحماً كثيراً من المجون والخلاعة والجشع وحبّ المال الذي كان يبعث به حيناً والتزهد والعفاف وفساد العقيدة والزندقة من جهة اخرى، وقد وصفه احد معاصريه بانه مخلوقٌ سماوي [39].

المجون عند ابي العتاهية

كانت حياة شاعرنا مضطربة فكان يخالط أهل المجون واللهو واكثر الشعراء فسوقاً، وكان هناك توافق تام بين الأدباء على أنَّ ابا العتاهية كان في بدو حياته مولعاً بالحب والطمع والجشع والحرص والملذّات والاقبال على جمع متع الحياة، وقد أبتعد عن التزهّد والعبادة لأنه كان مولعاً ساعياً على كسب مغانم الحياة في قصر الأمراء والخلفاء والابتعاد المتواصل عن الموت، ونحن نلاحظ أن شخصية أبو العتاهية اصابها شيء من التطور ولون من ألوان الصقل والنماء بعد ان ورد بغداد واستقرها، لأسباب واعتبارات شتى، فقد رأيناه قبل هذا الطور يميل ميلاً خاصا في السلوك، حينما كان يتخنث و يرافق المخنثين و يتعلم طرائقهم ويسلكها.

يقول ابو العتاهية: [40]

وَكُلُّ شَـيءٍ لاحِـقٌ بِجَـــــوهَرِهْ أَصـــغَـــرُهُ مُتَّصِـــــــلٌ بِأَكـــبَرِهْ

مَن لَكَ بِالمَحـــــــضِ وَكُلٌّ مُمتَزِجْ وَساوِسٍ فـــــي الصَدرِ مِنكَ تَعتَلِجْ

مَن لَكَ بَالمَحضِ وَلَيسَ مَـــحضُ يَخبُثُ بَـعضٌ وَيَطـــيبُ بَعـــضُ

لِلكُلِّ إِنـسـانٍ طَـبيـعَـــــــتانِ خَـــيرٌ وَشَرٌّ وَهُـما ضِـــــــدّانِ

إِنَّكَ لَـو تَستَنشِقُ الشَـــــحيحا وَجَدتَهُ أَخـبَثَ شَـيءٍ ريـــــــحا

عَجِـــبتُ لَمّا ضَبَّنـــي الســـكوتُ حَتّـى كَأَنّـي حـــائِرٌ مَـبـــهوتُ

كَذا قَـضى اللهُ فَكَيفَ أَصـــــنَعُ وَالصمتُ إِن ضاقَ الكَلامُ أَوسَـــعُ

كان ابو العتاهية متبعاً منهج المانوية ويعتقد بأن " العالم مصنوع من النور والظلمة، فمن النور نشأ كل خير ومن الظلمة نشأ كل شر، وأن العالم بما فيه من عشرة اجناسٍ، خمسةٌ منها خيرٌ ونور وخمسة منها ظلمةٌ وشر، وان الانسان مركب من جميعها على قدر ما يكون في كل إنسانٍ من رجحان اجناس الخير على اجناس الشر ، ورجحان اجناس الشر على اجناس الخير، وان كل حاسة من حواس الانسان قائماً بنفسه مستقلاً عما يماثلهُ في الحواس الأخرى، فحاسة السمع جنسٌ على حِدة، وان الخير والشر في حاسة البصر لا يعين الذي في حاسة السمع من الخير ولا يضاده ولا يفاسدهُ" [41]، فهو يتحدث عن الخير والشر ويرى ان العالم مركب منهما وان كل شيء مصيره اليهما، وان الانسان مختلط من أمشاج هذين العنصرين المتضادين، وهذه من تعاليم وعقائد المانوية الثنوية وهي" عقيدة من عقائد المجوس التي تقوم على معتقد أن العالم مركب من اصلين قديمين، احدهما النور والآخر الظلمة" [42] وقد امن الشاعر بهذه المعتقدات.

كما قال: [43]

الخَيرُ وَالشَرُّ مُزدادٌ وَمُنتَقَصٌ فَالخَيرُ مُنتَقَصٌ وَالشَرُّ مُزدادُ

فَالخَيرُ لَيسَ بِمَولـودٍ لَـهُ وَلَدٌ لَكِن لَهُ مِن بَنـاتِ الشَرِّ أَولادُ

يكمل الشاعر نظرته للحياة بأنها عبارة عن خير وشر، فهو ينظر الى العالم بشكل عام والعباد بشكل خاص من خلال تلك المفاهيم المجوسية .

وقال في وصف عتبة: [44]

كـــأن عتابةَ مــن حُسـنِها دمـــــيةُ قَـس فتَنتْ قَــسها

يـــاربَّ لــو انسـيتنيها بــما في جنةِ الفردوس لـــم انسها

"شنعَ عليه منصور بن عمار بالزندقة قائلاً بانه يتهاون بالجنة ويبتذل ذكرها في شعرهِ، واكمل قوله: أيصور الحور على مثال امرأة ادمية؟ والله لا يحتاج إلى مثال، واوقع له هذا على السنة العامة" [45].

وقال متأثراً بالبوذية : [46]

يا من تَشرفَ بالدنيا وزينتُها ليس التشرُفَ رفعَ الطينِ بالطينِ

إذا اردتَ شريفَ الناسِ كلهم فأنظُر الى ملكٍ في زيّ مسكين

اعتقد اغلب الكتاب تأثر ابو العتاهية بالبوذية ومنهم جولدتسيهر إذ قال بأنه " تأثر تأثراً قوياً بالبوذية واستدل على ذلك من خلال هذه الابيات، فقد استظهر منه ان ابا العتاهية يعني بوذاً، وهو يبالغ في التصوير محاولاً ربط البوذة بالتصوف الاسلامي" [47].

الزهد عند ابي العتاهية

أظهر أبو العتاهية في زهدتيه ازدراءه من حياة جمة وقد لفها بغشاء كالح السواد من شأنه أن يبعث على اليأس والقنوط، إلا أنه من تشاؤمه قد أسدى إلى الناس نصحاً ذا قيمة حقيقية ووجه كلامه إلى عقولهم مقدماً لها البراهين والحجج غير مكتفي بأساليب الأقدمين الاختيارية فهو في عصر الفلسفة و التفكير وهو في عصر علم وجدل وهو في عصر نصب فيه للعقل عرش رفيع واستقى أفكاره من كتب الدينية و نظريات الفلاسفة، كما استقاها من عالم التجربة و الاختبار، وراح يدعوا إلى القناعة لأن الدنيا دار الفناء، و الآخرة خير منها فما يبني للخراب ومن يولد يولد للموت و ما يجمع يجمع للتفريق، و ما يعتني به من أمر جسدي آخرته الفناء، وما يضحك لا يضحك إلا ليبكي فعلى الإنسان أن يعيش كمن سيموت يكتفي بالضروري ويتسلح بالتقوى وهكذا يتأهب للآخرة، ويذخر لنفسه أجرا عند الله [48].

وهناك عدة اسباب دفعت أبو العتاهية إلى الزهد منها: "

أولاً_ العامل الديني: إذ لم يكن الامر صعباً ولا جديداً عليه، إذا كان أبو العتاهية مطعوناً في دينه وفي أخلاقه وتصرفاته، وقد وجهت تهمة الزندقة إلى الشاعر أكثر من مرة، وذلك بسبب سلوكه المشين أيام شبابه مما دفع الاخرين اتهامه بالزندقة، بالإضافة الى كثرة بكائه ورثائه لعلي بن ثابت الذي قُتل بسبب زندقته مما وجهت اصابع الاتهام نحوه.

ثانياً_ العامل الدنيوي: إذ اتجه ابو العتاهية لمذهب الزهد بسبب الكآبة والعزلة التي عانى منها الشاعر خاصة بسبب الصدمات التي وقعت له جراء فشله في حب عتبة، بالإضافة لكونه من أسرة فقيرة وذلك ما جعله زهيدا في متع الحياة" [49] .

ثالثاً_ العامل النفسي: تأثر نفسيته كثيراً بعدما رأى تمسك معاصريه وتماديهم في الترف، وتحول ذلك الى عاطفة شعرية مغايرة لعواطف زملائه، فترك الغزل والمنادمة واختار لنفسه اسلوباً اخر ينفرد به [50].

ونجد للزهد عدة اشكال عند ابو العتاهية نحو ما يلي:

اولا_ الموت: إن فكرة الموت ذلك المصير المحتوم للإنسان بل لكل حي كانت أقوى أسلحة أبو العتاهية يعزف عليها فيزلزل قلوب العصاة والمؤمنين على السواء، فهو يخاطب الإنسان الذي نسي الموت ويطلب الخلود في الدنيا قائلا: [51]

أَنْساكَ مَحْيَاكَ المَمَاتَا فَطَلَيْتَ فِـي الدُّنْيَا النَبَاتَا أَوَثِقْتَ بالدُنْيـا وأنْـتَ تَرَى جَمَاعَتِهَا شَتَتَا

وعزمت منك على الحياة وطولها عــزما بتاتا يَا مَنْ رَأى أبويْه فِـي مَا قَدْ رَأى كَانَا فمَاتَا

كما قال: [52]

نَصِبْتِ لَنَا دُونَ الــتَفَكُرْ يَا دُنْيَا أَمَانِي يُفْنِي العُمْرَ مِـنْ قَبْلِ أَنْ يُفْنَى

حتَى تَنْقَضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ وَصِلَا إِلَى حَاجَةِ حَتَى تَكُونَ لَهُ أُخْـرَى

فالشاعر عمد إلى التشخيص وجعل من الدنيا شخصاً خادعاً ينصب شباكاً ليصطاد بها وكأن الدنيا تتصب للإنسان حبال الأماني ليقع في شركها.

ثانياً_ الوعظ والنصح: كان أبو العتاهية متعدد الجوانب وموزع النشاط ومفتاح تلك الشخصية المعقدة شعوره بالنقص بسبب عرقه المتواضع، وقد دفعه ذلك الشعور في اتجاهين رئيسيين الأول دفعه إلى مهاجمة الطبقات العليا في المجتمع، وصار بذلك من الثوار والمتمردين، أما الثاني

فدفعه إلى أن يلبس مسوح الوعظ والمتصوفين لكي يتلقى معهم تكريم العامة واحترامهم، فقال: (53)

أَتَلْـهو وأَيَّامُنَا تَذْهبُ ونَلْعَبُ والمَوتُ لا يَلْعَبُ عَجِبْتُ لِذِي لَعِب قَدْ لَهَا عجِبْتُ ومَالِي لاَ أعْجَبُ

أَيَلْهُو ويَلْعَبُ مَن نَفْسَهُ تَمُوتُ ومَنْزِلُهُ يَخْـرَبُ تَرَى كُلَّ مـا ساءنا دائما على كُلّ مَا سَرَّنَا يَغْلِبُ

فقد استهل هذه الأبيات بالاستفهام الذي يحمل في طياته الاستغراب والتعجب تجاه من يلهو في هذه الدنيا وهو يعلم أنه سيموت، وأن منزله الذي يعمره سيخرب، ويعلم كذلك أن الأحزان في هذه الدنيا أكثر من السرور، فنصيحة ابو العتاهية هو عدم التركيز على اللعب واللهو ولفت انظار الناس الى العبادة.

ثالثاً_ ذم حياة الملوك؛ إن عيشهِ في بيئة فقيرة جعله يهاجم الطبقات العليا كالملوك والخلفاء وذوي المكانة والجاه وأصحاب المال فيقول في ذلك: (54)

وكَمْ مِنْ عَظِيمِ الشَأْن فِي قَعْرِ حفْرَةٍ تَلَحَّفَ فِيا بالثَّرَى وتَسَرْبَلَا

ويبدأ هنا أبو العتاهية باستخدام كم الخبرية التي تفيد التكثير، أي أن هناك كثيراً من أصحاب الجاه والسلطة عندما وضعوا في حفرة القبر لم ينزل معهم من حطام الدنيا شيء فأصبح التراب هو لباسهم وفراشهم.

رابعاً_ ترك بهائج الدنيا: قال أبو العتاهية يخاطب الدنيا ويبكيها عن الغرور: (55)

قَـطّعْتُ مِـنْكِ حَبـائِلَ الآمـــالِ وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهرِ المَطيّ رِحـالي

وَيَئِسْتُ أنْ أبقَـى لشيءٍ نِلتُ ممّا فـــيكِ، يادُنيا، وَأنْ يَبـــقَى لـــي

يوضح الشاعر ان الدنيا متاع زائل وعبث باطل وتمني النفس أماني يفتي الإنسان عمره في سبيل تحقيقها، فإن ابوالعتاهية يحتقر الحياة الدنيا ويعظم الآخرة .

كما قال: (56)

نَصِبْتِ لَـــنَا دُونَ التـــفَكُرْ يَا دُنْيَـا أَمَانِي يُفْنِي العُمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْنَى

متَى تَنْقَضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ وَاصِلاً إِلَـــى حَاجَةٍ حَـتَى تَكُونَ لَهُ أُخْـرَى

فان الشاعر عمد إلى التشخيص هنا وجعل من الدنيا شخصاً ينصب شباكاً ليصطاد بها وكأن الدنيا تتصب للإنسان حبال الأماني ليقع في شركها.

خامساً_ اعتزال الناس: إذ يقول: (57)

بَرِمت بِالنّاسِ وأخلاقِهِمْ فَصِرْتُ أســتأنِسُ بالوَحْدَهْ

مـا أكثرُ النّاسِ لعَـمري ومَا أقَلّهُمْ في حاصِلِ العِدّهْ

ففي البيت الأول يخبرنا أبو العتاهية أنه قطع صلته بالدنيا ومزق شباك الأمل فيها ورجع عن الرحلة إليها، وعدل عن الجري وراءها والسعي في طلبها، وينتقل في البيت الثاني ليبين لنا بأنه يئس من بقائه لما مَلك من حطام الدنيا، ولهذا السبب لا يريد أن يربط نفسه به ولا يعول عليه او يهتم به.

سادساً_ رهبة الموت: كان ابو العتاهية يُذكر الناس دائماً بالموت وآلامه وأهواله المرعبة، ونراه يرتعد من ذكره ويجزع منه جزعاً شديداً، وهو يصف لنا منظرين يطيب الوقوف عليهم وهما منظر سكرات وتجرع الموت، ومنظر القبور وهو يتخير دائما الأوضاع التي تثير في النفس الانقباض والوحشة والرعب والفزع، وقد ملك عليه حواسه وشغل كل تفكيره حتى أصبح لا يفكر في شيء سوى الموت، إذ يقول: (58)

لَعِبتُ وجَدَّ الموْتُ في طَلَبـي وإنّ في الموْتِ لي شُغْلاً عنِ اللّعِبِ

كما وقدم لنا الشاعر في حديثه عن الموت منظرين يطيل الوقوف عليهم وهما منظر سكرات الموت وتجرع الموت غصصه، ومنظر القبور وهو يتخير دائما الأوضاع التي تثير في النفس الانقباض والوحشة والرعب والفزع، ويقصد إلى ذلك قصدا بأنه حريص على أن يثير في نفس سامعه هذه المشاعر، وكأنه يريد أن يحطم أعصابه ويتركها تنهار تحت قبضة الموت الرهيبة.

سابعاً_ النسك: وله في موضوع النسك والتقوى أحاديثٌ عن التواضع وترك التيه والتخلق بخلق عباد الرحمن الذين يمشون في الأرض، إذ يقول: (59)

حَتَى مَتى ذُو التِّيَه في تَيْهِ أَضْلَحَهُ اللهَ وعَافَاهُ يَتِيهُ أهل التِيهِ مِنْ جَهْلِهِمْ وهُمْ يَمُتُونَ وإنْ تَاهُوا

مَنْ طَلَبَ العِزَ ليَبْقَى بِهِ فإنَّ عِزَّ المَرءِ تَقْـوَاهُ مَنْ يَعْتصِمْ بِاللهِ، مِنْ خَلْقِهِ مَنْ لَيْسَ يَرْجُوهُ، ويَخْشَاهُ

فهو يدعو هنا الى ترك الخيلاء والتيه، كمت دعا إلى التواضع لأن مصير الإنسان إلى التراب.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المشوقة مع ابي نؤاس وابي العتاهية في شعرهما نستطيع أن نقول بأننا توصلنا الى ابرز النتائج الاتية:

_ أن الزهد ظاهرة تشيع في المجتمعات الإنسانية كغيرها من الظواهر الأخرى، كما أنها ظاهرة عامة تنشأ في أحضان الدين وتتطور في نطاقه وتتجه إلى قواعده وأصوله؛ لتستمد منه العون على مواجهة الحياة.

_ يعد أبو نواس شاعراً مُعربِداً من الدرجة الأولى وقد تفنن في جميع أنواع المجون من الوصف للخمر والغزل الفاحش والتعبير عن الغرائز بشكلٍ فاضح، بل وأظهر في شعره شذوذاً لتغزله ببعض الغلمان، ونراه قد أفرط في المجون لاتساع رزقه، ووَفْرَةِ أسباب لهوهِ، فخلع رداء الحياء، وكان شعره صورة لتلك البيئة المريضة، ونراه فيما بعد قد اظهر الندم والاسف على ما مرّ في ايامه من الباطل وافصح عما في نفسه و طغى منه جانب التقى و الورع، فبدأ بالتفنن في موضوعات الزهد واكثر من مناجاة الله تعالى، والتفكر والتدبر، والموت والآخرة، والندم على المعصية، والاتعاظ بالزمن وذم الدنيا والإقبال على الآخرة، وخرج من خلالها من دائرة شعراء الكفر والمجون.

_ تبين لنا من خلال هذه الدراسة بأن حياة أبو العتاهية من الناحية الادبية انقسم على قسمين متناقضين، الاول وهي حياة الغزل والمنادمة حيث عاش حياته في فترة شبابه كبقية شعراء

عصره وأنشد في الغزل والمجون، اما الثاني فهي حياة الوعظ والتقشف ونراه قد أصبح زاهداً عندما قارب الخمسين من عمره، ويعتبر ابي العتاهية أحد أبرز شعراء الزهد والحكمة في العصر العباسي، إذ لجئ إلى الزهد في أواخر ايامه، ونراه قد أكثر من ذكر القبر واللحد واعطى اهمية كبيرة للموت وكل ما يتعلق به من عذاب القبر الى يوم البعث وما يليها من اهوال، ودعا الى القناعة والاكتفاء من الدنيا بالقليل وعدم الاستسلام للشهوات وغير ذلك من الصفات المذمومة، بالإضافة الى ذم الحرص والجشع والطمع والبخل، وجعل من شعره وسيلة للإرشاد والوعظ، وتطرق إلى نقطتين بارزتين هما: الترهيب من الدنيا، والترغيب في الآخرة.

_ يعتبر العصر العباسي عصر التحول في حياة العرب والمسلمين بسبب التغيرات التي حدثت في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فضلاً إلى أنه عصر الانفتاح والتعارف بين الشعوب ولم يكن الشعر بعيداً عن هذا التحول والانفتاح، إذ تأثر من خلاله بالأدب الفارسي واقتبس مواضيعه منه كالخمر واللهو والمجون، وظهر شعر الزهد كتيار معادي له بعد ان ساد اللهو والمجون في المجتمع لكي تطبع على الصور الأدبية المختلفة عامةً والشعر خاصةً، والذي ظهر بشكل مغاير وذلك من خلال مساعدة الاخرين على الابتعاد عن المحرمات.

الهوامش

1_ تاريخ الادب العربي العصر العباسي الاول، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط8، 2006م، 3

2_ تاريخ الدولة العباسية، د. محمد سهيل طقوش، دار النفائس للطباعة والتوزيع، ط7، 2009م، 18

3_ ينظر: التحولات النفسية في الشخصية الروائية شرق المتوسط لعبدالرحمن منيف انموذجاً، د. اياد جوهر عبدالله، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، المجلد السابع، العدد2، 2012م، 1_9

4_ الشعرية في خطب العصر الاموي، د. بدران عبدالحسين محمود، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، المجلد الرابع، العدد2، 2009م، 97

5_ لسان العرب، الإمام العلامة ابن منظور(ت711هـ)، اعتنى بتصحيحها: امين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999م_1419هـ، 6/97_98

6_ الأغاني، ابي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني (ت976هـ)، تحقيق: د. احسان عباس و د. ابراهيم السعافين ود. بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 2002م، 24/1

7_ تاريخ الادب العربي العصر العباسي الاول: 220

8_ سير اعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، تحقيق: الشيخ شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م، 9/297-281

9_ طبقات الشعراء، عبدالله بن المعتز، تحقيق: عبدالستار احمد فراج، دار المعارف، مصر، 2009م، 26

10_ الجامع في تاريخ الادب العربي_ الادب القديم_، حنا فاخوري، دار الجيل، بيروت، ط2، 1995م، المقدمة

11_ تاريخ الادب العربي، حنا فاخوري، المكتبة البوليسية، لبنان، 1987م، 391

12_ تاريخ الادب العربي العصر العباسي الاول: 233

13_ ابو نؤاس في شعره الخمري، ايليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، ط1، 2003م، 1_2

14_ ابي نؤاس، عباس محمود العقاد، مؤسسة الهنداوي، 1960م، 23

15_ ديوان ابي نواس (تاريخه، رأي الشعراء فيه، نوادره، شعره)، وضعه ورتبه وشرح الفاظه اللغوية: محمود كامل فريد، مطبعة حجازي، القاهرة، 1937م، 294

16_ ديوان ابي نؤاس: 81

17_ ديوان ابي نؤاس: 325

18_ ديوان ابي نؤاس : 326

19_ ديوان ابي نؤاس: 336

20_ ينظر: تاريخ الشعر في العصر العباسي ، خليف يوسف ، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ، ط2، (د.ت)، 64_65

21_ دراسات في الشعر العباسي، د. صلاح مهدي الزبيدي، الاكاديميون للنشر والتوزيع، الاردن، 2004م، 72

22_ ديوان ابي نؤاس: 290_291

23_ ديوان ابي نؤاس، تحقيق: احمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984م، 618

24_ ديوان ابي نؤاس: 619

25_ ديوان ابي نؤاس: 614

26_ أبو نؤاس وقضية الحداثة في الشعر العربي، حسن درويش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1987م، 340

27_ شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة، علي نجيب عطوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1981م، 29

28_ ديوان ابي نؤاس: 610

29_ ديوان ابي نؤاس: 466

30_ ديوان ابي نؤاس: 617

31_ شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة: 295

32_ديوان ابي نؤاس: 612

33_ ديوان ابي نؤاس: 411

34- ديوان ابي نؤاس: 523

35_ اللباب في تهذيب الأنساب، ابي الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الموصلي المعروف بأبن اثير الجزري(630هـ)، دار صادر، بيروت، 1980م، 2/ 370

36_تاريخ بغداد، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي المعروف بالخطيب البغدادي (463هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2002م، 7 / 226

37_الأغاني: 39/4

38_طبقات الشعراء، عبدالله بن المعتز، تحقيق: عبدالستار احمد فراج، دار المعارف، 2009م، 231

39_ ينظر: تاريخ بغداد:251/2

40_ديوان ابي العتاهية، ابو اسحاق إسماعيل بن القاسم (210هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986م، 177

41_الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الاول، د. حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، 2010م، 122

42_ الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم، اسد رستم، دار المكشوف، ط1، (د.ت)، 48

43_ديوان ابي العتاهية:374

44_ديوان ابي العتاهية:443

45_الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الاول، د. حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، 2010م، 109_110

46_ ديوان ابي العتاهية:451

47_في التصوف الاسلامي وتاريخه، رينولد نيكولسون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1974م ،3

48_ينظر: الأدب في عصر العباسيين منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث، د. محمد زعلول سلام، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط1، 1998م،204_205

49_الموسوعة الأدبية المسيرة أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1987م، 1_2

50_ نموذج للزهد من شعر ابي العتاهية، د.علي اللافي، مجلة كلية التربية، جامعة الزاوية، العدد السابع، 2017م، 5

51_ ديوان ابي العتاهية:488

52_ ديوان ابي العتاهية : 93

53_ ديوان ابي العتاهية:51

54_ ديوان ابي العتاهية : 325

55_ ديوان ابي العتاهية: 154

56_ ديوان ابي العتاهية: 476

57_ ديوان ابي العتاهية: 315

58_ ديوان ابي العتاهية: 424

59_ ديوان ابي العتاهية: 387

قائمة المصادر والمراجع

1_ الكامل في التاريخ، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم المعروف بأبن الأثير(ت630هـ)، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1978م،

2_ وفيات الاعيان وابناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان(ت681هـ) تحقيق : محمد الدين عبد الحميد ، القاهرة، مكتبة النهضة العربية1950م .

3_اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني عشر ، محمد مصطفى هدارة ، دار العلوم العربية، ط1، بيروت، 1988م.

4_ معجم البلدان، شهاب الدين ابو عبدالله بن ياقوت بن عبدالله الحموي(ت622هـ)، تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1993م.

5_ سير اعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي(ت 748هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل، دار المعارف، مصر، ط2، 1402هـ

6_ ابو العتاهية شاعر الزهد والحكمة، محمود فرج عبدالحميد، دار العلوم، الرياض، ط1، 1985م.

7_الادب في عصر العباسيين(منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث)، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، 1999م.

Moral transformations in the Abbasid era between asceticism and immorality

_Abu Nawas and Abu Al-Atahiya as an example

Abstract

This study aims to reveal the nature of the poetry of asceticism and immorality in Abbasid poetry, while explaining the negative and positive aspects of each purpose, and revealing the transformations that

occurred between these two contradictory purposes according to Abu Al-Atahiyah and Abu Nuwas. The social transformation that that era witnessed had a major role in movement, especially After the mixing of Arabs with other nations, this had an impact on Abbasid poetry, as Abbasid society inherited all the tools of entertainment that existed in Persian society, and this was helped by the extravagant freedom that the Abbasid Revolution led to. They began to drink wine and drink its cups until they were drunk, and addiction became a phenomenon, but it included A limited class of people, especially the wealthy and the poets around them. As for the common people, they did not know luxury or the decadence and corruption that it led to. Society was Islamic and adhered to its obligations, laws and rituals. Arts appeared in it that encouraged the demands of life and advanced people's tastes, such as the poetry of wine-making, which appealed to the class of frivolous entertainers, and the poetry of asceticism, which pleased the religious. Abbasid society was overflowing with this Binaries.

Our study was divided into an introduction and one axis, as in the introduction we dealt with the concept of transformation in a simplified manner, and the axis included an explanation of the transition from immorality to asceticism among the two poets Abu Nuwas and Abu al-Atahiya, who were in their beginnings immoral, but later God turned to them and they moved to asceticism and religiosity using The words chastity and reverence